مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الزواج السياسي بين الممالك المسيحية الإسبانية وأثره على الوجود الاسلامي

Political marriage between the Spanish Christian kingdoms and its impact on the Islamic presence

وجدي خلف الله

جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر

oudjdi.khalfallah@univ-medea.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/14 تاريخ القبول: 2025/07/17 تاريخ النشر: 2025/09/30

الملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف عند ظاهرة مهمة شهدتها اسبانيا النصرانية خلال العصور الوسطى (القرن2-9هـ/8-15م)، ألا وهي الزواج السياسي، الذي لعب دور كبير في ميلاد الممالك المسيحية الاسبانية وتطورها، كما استخدم ذلك الزواج كذلك لحل الخلاف والصراع الذي كان يحدث بين تلك الممالك، وبفضله اتحدت وضاعفت من جهودها، فقويت حركة الاسترداد (La Reconquista)، وأخذت المدن الأندلسية تسقط الواحدة تلو الأخرى بداية بطليطلة وختاما بغرناطة التي سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين فرديناند وازابيل، وبسقوطها(غرناطة) انتهى الوجود الاسلامي بشبه الجزيرة الأيبيرية الذي دام اكثر من ثمانية قرون. وخلصنا من خلال هذه الدراسة أن البابوية(الكنيسة) كان لها دور كبير في اتحاد تلك الممالك وتطورها، وذلك بفضل الدعم الروحي والمادي الذي قدمته لها. وبالرغم من ذلك فما كان للممالك الاسبانية أن تحقق هدفها المنشود لولا الانقسام الذي عرفه المسلمون مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وانقسام الأندلس الاسلامية الى دويلات صغيرة متطاحنة فيما بينها.

الكلمات المفتاحية:

الزواج السياسي، المصاهرة، الأندلس، الممالك المسيحية. حركة الاسترداد

***Abstract*:**

We will attempt through this study to examine an important phenomenon that Christian Spain witnessed during the Middle Ages, namely political marriage, which played a significant role in the birth and development of the Spanish Christian kingdoms. This marriage was also used to resolve disputes and conflicts that arose between these kingdoms, and thanks to it, they united and multiplied their efforts, strengthening the Reconquista movement. The Andalusian cities began to fall one after another, starting with Toledo and ending with Granada, which fell into the hands of the Catholic Monarchs Ferdinand and Isabella. With its fall (Granada), the Islamic presence in the Iberian Peninsula, which lasted for more than eight centuries, came to an end. We concluded from this study that the papacy (the Church) had a significant role in the unification of these kingdoms and their development, thanks to the spiritual and material support it provided. Despite this, the Spanish kingdoms would not have achieved their desired goal without the division that the Muslims experienced at the beginning of the 5th century AH / 11th century AD, and the division of Islamic Andalusia into small feuding states.".

***Keywords*:**

Political marriage, intermarriage, Andalusia, Christian kingdoms, Reconquista

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

إن الباحث في تاريخ العلاقات بين المسلمين والممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية، سيقف عند ظاهرة مثيرة للانتباه عرفتها تلك الممالك ألا وهي الزواج السياسي، فميلاد أول مملكة مسيحية(مملكة جليقية) قادت الحرب ضد المسلمين كان بفضل الزواج السياسي، كما ساهم ذلك الزواج في ميلاد ممالك نصرانية أخرى(نفار، قشتالة، تاج أراغون...). وبالإضافة إلى ذلك فقد استخدم الزواج السياسي كوسيلة للقضاء على الخلاف والصراع الذي كان يحدث بين تلك الممالك وإعادة التوافق والانسجام والاتحاد بينها، وكان أثر ذلك عظيما على حركة الاسترداد، فبفضله قويت واشتدت، وأخذت أهم وأشهر المدن الأندلسية في السقوط كطليطلة، سرقسطة، بلنسية، قرطبة، وأخيرا غرناطة التي سقطت في يد الملكيين الكاثولكيين فرديناند وازابيل، وبالتالي نهاية الوجود الاسلامي بشبه الجزيرة الأيبيرية الذي دام أكثر من ثمانية قرون. ولأن عدد الزيجات التي تمت بين تلك الممالك في تلك الفترة كان كثيرا، فسنكتفي في هذه الدراسة بذكر أشهرها، والتي كان لها دور في الأحداث التي شهدتها شبه الجزيرة الأيبيرية في تلك الفترة. وعليه نطرح الاشكالية التالية: إلى أي مدى شكّلت الزيجات بين الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية أداة سياسية مؤثرة خلال مرحلة حروب الاسترداد؟ وما هي الدوافع الاستراتيجية الكامنة وراءها؟ وكيف ساهمت تلك التحالفات الأسرية في تقويض الوجود الإسلامي بالأندلس وتغيير خريطة الصراع بين المسلمين والمسيحيين؟وذلك بالاستعانة بالمنهج التاريخي في اطار زمني محدد: منذ قيام اول كيان مسيحي (امارة أشتوريس) اي القرن الثاني للهجري الى غاية سقوط غرناطة خلال القرن التاسع الهجري.

2.الزواج السياسي بين إمارة أشتوريس وإمارة كنتبرية وقيام مملكة جليقية(ليون):

من المتفق عليه أن المسلمين خلال فتحهم لشبه الجزيرة الأيبيرية سنة 92هـ / 711م، تركوا بعض المناطق في أقصى شمالها، نظراً لقساوة مناخها، وصعوبة تضاريسها، واستصغارا لأمرها وانصرفوا إلى شؤونهم الداخلية، مما هيأ الجو لأعداد قليلة من سكان تلك المناطق، لتُكون لنفسها كياناً قوياً يستطيع مع الأيام منافسة الدولة الإسلامية الناشئة.

وأول من جمع تلك الأعداد القليلة من السكان هو بلاي[1] (pelayo)، الذي اتخذ من منطقة أشتوريس (Asturias) في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة قاعدة لتنفيذ مشروعه، وكان انتصاره على المسلمين في موقعة كوفادونجا[2](Covadonga) عام 104هـ/722م، التي تقع في سلسلة جبال كنتبرية(Cantabria) المنيعة، بداية لما اصطلح عليه المؤرخون الإسبان بحركة الاسترداد (La Reconquista). وفي تلك المنطقة التي لجأ إليها بلاي وأتباعه كان ميلاد أول إمارة مسيحية هي إمارة اشتوريس، وقد اتخذ من مدينة كنجاس دي أونيس (Cangas de Onis) عاصمة له. وفي الوقت الذي انشغل فيه بلاي بتوسيع إمارته وتنظيم شؤونها، ظهرت إمارة

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

أخرى محاذية لإمارته هي إمارة كنتبرية، التي يعود الفضل في تطورها وتوسعها إلى ألفونسو الأول(Alfonso)- ألفنش في المصادر العربية- ابن الأمير بتروس(petros).

وقبل وفاته ومن أجل خلق تجانس وتقارب بين الامارتين، زوج بلاي ابنته أرمزندة(Hermesinda)من ألفونسو الأول أمير كنتبرية. وفي سنة 737م، توفي بلاي بعد أن وحد بين أشتوريس وجليقية[3](Galicia)في مملكة واحدة، فخلفه ابنه فافيلا(Favilla) إلا أن فترة حكم هذا الأخير لم تطل حيث توفي دون أن يترك وريثا، فانتقل الحكم إلى ألفونسو الأول أمير كنتبرية، بحكم زواجه من أرمزندة ابنة بلاي. وبذلك استطاع ألفونسو الأول عن الطريق الزواج السياسي أن يوحد بين أشتوريس وكنتبرية في مملكة واحدة سميت مملكة أشتوريس أو مملكة جليقية. وقد نجح ألفونسو الأول في توسيع حدود مملكته جنوبا مستغلا أوضاع المسلمين الغير مستقرة، و لم يمض الكثير حتى أصبحت مملكة جليقية تمتد من بلاد البشكنس شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا، ومن خليج بسكاية شمالا حتى نهر دويرة جنوبا. وحملت مملكة جليقية هذا الاسم حتى سنة 910م، وذلك عندما قام الملك غرسيه (Garcia) ابن ألفونسو الثالث(866-910م) بنقل العاصمة من أوفيدو (Oviedo)إلى مدينة ليون(Loen)،وسميت منذ ذلك الحين بمملكة ليون[4].

3. الزواج السياسي بين مملكة ليون ومملكة نفار ودوره في توثيق العلاقة بين المملكتين:

سكن نفار شعب شديد المراس يسمى الباسك، نسبة إلى خليج بسكاية (Baskaya) في الشمال. ويسميها المسلمون بلاد البشكنس. والباسك من أكثر الشعوب تمسكاً بعاداتهم وتقاليدهم، وميلهم إلى الاستقلال بأنفسهم، وقد حاول أمراء جليقية وملوك الفرنجة عدة مرات ضمها ولكن دون جدوى. وفي سنة 780م، نصب أحد زعمائهم المسمى أزوار (Azwar) نفسه أميرا على تلك المنطقة[5].

ظهرت مملكة نفار بشكل رسمي خلال القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، حيث كانت قبل ذلك تخضع لحكم الفرنجة أحيانا وأحيانا أخرى لملوك جليقية، وشاركت مع هؤلاء في حروبهم ضد المسلمين، لكن هزيمتها رفقة حلفائها سنة 200ه/815م، جعلها تجنح لمسالمة المسلمين[6]. وفي سنة 862م، تلقت مملكة نفار ضربة موجعة، وذلك بمقتل ملكها غرسيه في حربه مع مملكة جليقية، وهو ما جعلها تختفي عن مسرح الأحداث السياسية والعسكرية في شبه الجزيرة الايبيرية في تلك الفترة[7]. وما زاد في ضعف نفار، وقوع ملكها فرتون الذي خلف والده غرسية في الأسر خلال حربه مع المسلمين، وقد لبث هناك فترة طويلة من الزمن، وبعد وفاته انتقل الحكم الى ابنه سانشو غرسيه[8](905- 926م) الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لمملكة نفار، باعتباره أول من حمل لقب ملك في تاريخها، ومنه جاءت الأسرة المالكة التي حكمت نفار، والتي ضمت الكيانات النصرانية الأخرى بطرق مختلفة أهمها: الزواج السياسي.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

وبعد وفاة الملك النفاري سانشو غرسية سنة 926م، انتقل الحكم الى ابنه غرسية سانشو(926-969م)، الذي كان لا يزال طفلا، فتولت والدته طوطة (Tota)الوصاية عليه، وأصبحت الحاكم الحقيقي للملكة لمدة طويلة، وقد اشتهرت هذه الملكة(طوطة) بصراعها الطويل مع المسلمين، وبالانتصارات التي حققتها أمامهم، لكن مع تولي الأمير الأموي عبد الرحمان الناصر(316-350ه/928-961م) الحكم، انقلبت الموازين لصالح المسلمين، وانتقل ملوك النصارى من موضع الهجوم الى موضع الدفاع. أما طوطة ملكة نفار، فخوفا من بأس عبد الرحمان الناصر، تحالفت مع مملكة ليون وامارة قشتالة، ومن أجل توثيق ذلك التحالف، زوجت ابنتها أوراكة(Urraca) من راميرو الثاني(Ramiro)(932-951م) ملك ليون، وزوجت ابنتها الثانية سانشا(Sancha) من فرناندو غونثالث(Fernando Gonzalez)(ت970م)، أمير قشتالة، وقد نجح المتحالفون في هزيمة الخليفة الناصر هزيمة مذلة في معركة الخندق الشهيرة سنة 327ه/938م[9].

ومن خلال تلك المصاهرة، أصبحت نفار(طوطة) تتدخل في مسألة تعين الملوك في ليون وفي عزلهم، حيث تذكر الروايات أنه بعد وفاة الملك راميرو الثاني سنة 951م، قامت حرب أهلية بين ولديه: أوردنيو(Ordono) الذي كانت والدته جليقية، وسانشو(الثاني) الذي كانت والدته نفارية(أوراكة ابنة طوطة)، وتغلب أوردنيو على سانشو ونجح في الحكم منفردا، وفي تلك الظروف لم يجد سانشو من حل سوى الاستنجاد بجدته طوطة التي عرفت بمكانتها القوية بين الممالك النصرانية، ولم يمض الكثير حتى توفي أوردنيو، فعاد سانشو الى ليون وأصبح ملكها، لكن الأمور لم تستقر له، حيث ظهر منافس آخر هو أوردنيو الرابع ابن عمه، وبمساعدة القشتاليين، استطاع هذا الأخير عزل سانشو وتولي الحكم الليوني[10]. ومرة أخرى عاد سانشو إلى جدته طوطة، وأعلمها بما جرى، وفي تلك الفترة لم تكن طوطة قادرة على مواجهة القشتاليين والليونيين لوحدها، ودفعها حبها لحفيدها سانشو الى طلب المساعدة من عدوها اللدود عبد الرحمان الناصر، فبعثت اليه بسفارة تعرض فيها عقد معاهدة صلح، كما طلبت منه أن يقف معها من أجل إعادة حفيدها سانشو الى عرشه، فقبل الناصر طلبها، وتأكيدا على ذلك، حضرت الملكة بنفسها الى قرطبة رفقة ابنها وحفيدها سانشو، وكان ذلك سنة 347ه/ 958م، فاستقبلهم الناصر أحسن استقبال، وبعد ذلك أرسل جيشا نجح في إعادة سانشو إلى عرشه كما بعث معه بطبيبه حسداي ليعالجه من مرضه[11].

4. الزواج السياسي بين مملكة نفار وإمارة قشتالة ودوره في اتحاد التاجين:

كانت قشتالة عبارة عن مجموعة من الحصون والقلاع ومنها جاء اسمها (Castilla) التي تعني الحصون، أما عند المسلمين فقد عرفت بألبة والقلاع، وأصل سكانها من البشكنس. يعود سبب ظهورها إلى التوسعات التي قام بها ألفونسو الثالث ملك ليون جنوبا وشرقا، وقد انحصر دورها في البداية في حماية ليون من هجمات المسلمين، وتزعم كل قلعة من هذه القلاع أمير يدير شؤونها ويتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي، ولم تلبث تلك القلاع أن

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

اتحدت خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بزعامة أقوى أمرائها وهو فرناندو غونثالث، واستقلت عن مملكة ليون وأصبحت تعرف بإمارة قشتالة، ثم أخذت في التوسع وضمت مجموعة من المدن أهما: برغش (Burgos)، التي أصبحت عاصمة لمملكة قشتالة[12] .

ولما دب الضعف داخل الممالك النصرانية مع نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حملت قشتالة راية الحرب ضد المسلمين واستئناف حركة الاسترداد، وكان يحكمها في تلك الفترة واحد من أقوى الحكام في تاريخها وهو سانشو غرسيه(995-1017م)، الذي لقب بالإمبراطور. أما مملكة نفار فقد كانت في تلك الفترة تحت حكم ملكها غرسية(994-1000م)، وتذكر الروايات أن غرسيه هذا كان ضعيف الشخصية و لم يشبه والده سانشو في الشجاعة وحسن التدبير، فدفعه ذلك إلى إقامة علاقات سلم وصداقة مع جيرانه سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، وبعد وفاته انتقل الحكم إلى ابنه سانشو، وبسبب صغر سنه، أخذته والدته خيمنا ذات الأصل القشتالي إلى قشتالة حيث تربى هناك، ولما شب زوجه أمير قشتاله سانشو غرسيه ابنته ألبيرة(Elvira)، وفي سنة 1000م، تُوج ملكا على نفار وحمل اسم سانشو الأول أو سانشو الكبير(Sancho el Mayor)(1000-1035)، وقد توسعت المملكة كثيرا في عهده، وذلك باستيلائه على ريباجورسة، وقشتالة، وأسترقة(Astorga)، وزاد في علاقته مع دوق غاسكوني[13](Gasconna)، واستطاع بذلك أن يبسط سلطانه على شمال اسبانيا كله ما عدا إمارة قطلونية(برشلونة). وبذلك أصبح سانشو العظيم أقوى ملك في شبه الجزيرة الأيبيرية يحمل لقب ملك اسبانيا، وتزامنت فترة حكمه مع وفاة المنصور محمد بن أبي عامر أقوى حكام الأندلس[14].

أما عن ظروف ضمه لإمارة قشتالة: ففي سنة 1028م، قتل غرسية ابن الأمير القشتالي الشهير سانشو غرسية بليون في مكيدة دبرها أبناء الكونت فيلا(Villa)أحد أشراف قشتالة، ولما قتل الأمير القشتالي دون أن يكون له وريث يخلفه في الحكم، فقد سار سانشو الثالث(الكبير) ملك نفار الى قشتالة، وأعلن ضمها، وذلك بحكم المصاهرة التي كانت بينه وبين أميرها سانشو غرسية(زوج ألبيرة ابنة سانشو غرسية أمير قشتالة)، وعن طريق ذلك الزواج، نجح الملك النفاري سانشو في ضم إمارة قشتالة إلى مملكته، كما ساهم ذلك في حماية الإمارة وضمان بقائها في ظل الظروف الصعبة التي كانت تعيشها في تلك الفترة. وبعد ضمها مباشرة عين سانشو الثالث ابنه فرناندو حاكما لها، وأصبغ عليه لقب ملك، فكان ذلك ايذانا بميلاد مملكة قشتالة، هذه المملكة التي كان التي سيكون لها دور كبير في حروب الاسترداد، وإليها ينسب أشهر الملوك في تاريخ تلك الحروب[15].

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

5. الزواج السياسي بين مملكة قشتالة ومملكة ليون ودوره في اتحاد المملكتين:

وكان أول عمل قام به فرناندو الأول بعد تتويجه ملكا على قشتالة هو ضم مملكة ليون وتوحيد المملكتين. ومن أجل ذلك، تزوج فرناندو بالدونا سانشا (Sancha) أخت برمودو الثالث(Vermudo)(1025-1037م)،آخر ملوك ليون، لعله يصل إلى عرشها عن طريق تلك المصاهرة، وبالرغم من ذلك فإن فرناندو لم يصبر حتى وفاة برمودو، وقرر ضم المملكة بالقوة، وسار على رأس جيش كبير تؤازره قوات من نفار بعثها له والده سانشو الثالث، وبمجرد وصوله إلى ليون نجح فرناندو في دخولها، ثم نادى باسمه ملكا عليها، أما برمودو الثالث فقد فر خارجا، وظل ينتظر الفرصة للعودة إلى مملكته[16] .

وفي سنة 1035م، قام سانشو العظيم بتقسيم مملكته الواسعة بين أولاده الثلاثة، فخص ابنه فرناندو(Fernando) (1035-1065م) بمملكة قشتالة وليون، وخص ابنه كونزالو (Gonzalo)(1035-1038)بسوبراب وريباجورسا، وخص غرسيه(1035- 1054م) بالوطن الأصلي نفار، وخص ابنه غير الشرعي راميرو(Ramiro)(1035-1063م) بأراغون، وهي مملكة تظهر لأول مرة وسيكون لها شأن كبير فيما بعد [17].

وبعد وفاة سانشو الكبير سنة 1035م، استطاع برمودو أن يسترجع جزءا من أملاكه، وشكلت هذه العودة بداية للحرب بينه وبين صهره فرناندو ملك قشتالة، وقد استمرت تلك الحرب سنتين. وفي سنة 1037م، كان اللقاء الحاسم بين الطرفين، في موقعة تامارون (Tamaron)، لقي فيها برمودو مصرعه، دون أن يترك وريثاً، فتهيأت لفرناندو الفرصة لضم مملكة ليون نهائيا، وذلك بحكم المصاهرة والوراثة[18].

وبذلك تمت الوحدة بين مملكة قشتالة ومملكة ليون، وصار الشمال الإسباني في منطقة الوسط والغرب تحت قيادة فرناندو، وهو ما هيأ الظروف لهذا الأخير لاستئناف حروب الاسترداد، وقد ساعدته أوضاع المسلمين في تلك الفترة (عصر ملوك الطوائف) في شن العديد من الحملات العسكرية اتجاه ملوك الطوائف، واذلالهم بالجزية التي فرضها عليهم، وهو ما أجبرهم على دفعها أو يكون مصير دويلاتهم السقوط[19].

6. الزواج السياسي بين امارة قطلونية ومملكة أراغون وظهور مملكة أراغون القطلونية(تاج أراغون):

يعود ظهور إمارة قطلونية(برشلونة) بشكل رسمي الى النصف الثاني من القرن التاسع لميلادي، والفضل يعود في ذلك الى الكونت ويفريد بيلوس (Wifred Pelos) (872-897م)، الذي أعلن استقلاله عن ملوك الفرنجة حكام غاليا(فرنسا). وخلال القرن الحادي عشر الميلادي، كانت قطلونية تحت حكم أسرة ال بيرنجير، وقد بلغت أقصى اتساع لها في عهد حكام هذه الأسرة، خاصة في عهد رامون بيرنجير الثالث(1097-1131م)، وابنه

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

بيرنجير الرابع(1131-1162م)، الذي قضى على الوجود الاسلامي في منطقة الشرق الأندلسي، وما زاد في قوته وشهرته ضمه لمملكة أراغون، وهي أقوى مملكة اسبانية في تلك الفترة[20].

أما عن سبب الاتحاد بين مملكة أراغون وإمارة قطلونية. ففي سنة 528ه/1134م، قتل ألفونسو الأول (المحارب(1106-1134م) ملك أراغون في معركة إفراغة أمام جيش المرابطين، فخلفه شقيقه بدرو الراهب مرغما (كان رجل دين وليس رجل دولة)، فدخلت المملكة في مرحلة من الضعف والانقسام، حيث انفصلت عنها مملكة نفار، بالإضافة إلى التدهور الذي مس الأوضاع الداخلية والخارجية للمملكة. ومن أجل الحفاظ على قوة أراغون وضمان بقائها، رأى بدرو الراهب أن يزوج ابنته بترونيلا(Peronella)من رامون بيرنجير الرابع أمير قطلونية، فلقي ذلك ترحيبا وقبولا واسعا من طرف أمراء وفرسان ونبلاء أراغون، كما أن ألفونسو السابع ملك قشتالة وليون لم يعارض ذلك المشروع، وذلك بالنظر لعلاقته الجيدة مع أمير قطلونية. أما رامون بيرنجير فقد قبل ذلك المشروع، ورأى فيه أحسن سبيل لتطور وتوسع إمارته. ومن أجل ذلك عقد راميرو الراهب اجتماعا قال فيه: " بسم رب الأول ملك أراغون راميرو الثاني(الراهب) بإذنه أعطى ابنته لرامون بيرنجير الرابع كونت برشلونة مع كل المملكة، وله الحق في أن يرثها إن لم يكن لها ولد "[21].

وفي سنة 1150م، تم الزواج في مدينة لاردة(Larida)، وذلك عندما بلغت بترونيلا الرابعة عشر من عمرها. وحسب ما نص عليه القانون الكنسي هو ضمان بقاء لقب " ملك أراغون وكونت برشلونة " ، وبذلك أصبح رامون بيرنجير الرابع يلقب بملك أراغون وكونت برشلونة[22]. واشتركت بترونيلا مع زوجها في حكم أراغون، لكنها لم تشركه في اللقب، و لم تتحد قطلونية وأراغون في مملكة واحدة حتى بعد وفاتهما، وخلافة ابنهما ألفونسو الثاني لهما، وقبل تلك الفترة فقد احتفظت كل واحدة منهما بعاداتها وتقاليدها وبقوانينها التي تنظم أمورها الداخلية، وكان لقطلونية في البداية تأثير على أراغون وذلك بسبب النشاط البحري الذي عرفته برشلونة في تلك الفترة[23].

وهكذا حال الزواج السياسي من زوال مملكة أراغون، وكان الاتحاد بينها وبين قطلونية أهم حدث سياسي شهدته إسبانيا خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، فقد نتج عن ذلك تكامل المملكة جغرافيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا، حيث اشتهرت برشلونة بأسطولها البحري، ونشاطها في البحر المتوسط، أما مملكة أراغون فقد اشتهرت بقوتها البرية وتوسعاتها في شبه الجزيرة الأيبيرية، وباتحادهما انتهى الوجود الاسلامي بمنطقة الثغر الأعلى والشرق الأندلسي، كما ساهم ملوكها(أراغون القطلونية) في القضاء على الخطر الموحدي، وذلك من خلال تحالفهم مع ملوك قشتالة، ومعركة حصن العقاب سنة 609ه/ 1212م، شاهدة على ذلك.

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

7. الزواج السياسي بين مملكة نفار ومملكة قشتالة ودوره في حماية مملكة نفار من الزوال:

بعد أن أتم رامون بيرنجير الرابع شؤون زواجه من بترونيلا، تفرغ لشؤونه الخارجية، وكانت أولى مشاريعه في ذلك هي مملكة نفار، حيث رأى أن تعود هذه الأخيرة إلى مملكة أراغون مثلما كانت عليه سابقا[24]، ومن أجل ذلك عقد في سنة 1138م، اتفاقية كاريون(Carrion)، مع صهره ألفونسو السابع(ريموندس) (1135-1157م) ملك قشتالة وليون[25]، واتفق المتحالفان على محاربة ملك نفار الجديد غرسيه، واقتسام مملكته بينهما، بحيث يأخذ ألفونسو السابع الأراضي الواقعة شرق نهر الابره(Ebro)، أما رامون بيرنجير الرابع فيأخذ الأراضي التي كانت تابعة لأراغون سابقا، وفيما يخص العاصمة بنبلونة فقد اتفقا على اقتسامها بينهما[26].

وتنفيذا لبنود الاتفاقية التي دارت بينهما، سار رامون بيرنجير الرابع بجيشه مع خيرة الفرسان أبرزهم القائد الشهير أولانسي(Enlances)نحو نفار من الجهة الجنوبية، وفي المقابل سار ألفونسو السابع ملك قشتالة من جهتها الغربية، واستطاع أن يخترق أراضيها، وقام بمحاصرة بنبلونة. أما غرسيه ملك نفار فقد نجحت خطته في وقف سير رامون بيرنجير الرابع نحو بنبلونة،كما نجح في عقد معاهدة صلح سرية مع ملك قشتالة، وتدخل في ذلك كونت تولوز ألفونسو جوردان(Alfonso Jordan) صديق النفاريين والقشتاليين، الذي توسط لغرسيه عند ملك قشتالة من أجل قبول معاهدة الصلح. وعلى أية حال فقد تم عقد معاهدة الصلح بين غرسية ملك نفار وألفونسو السابع ملك قشتالة في مدينة قلهرة في أكتوبر 1140م، ونصت المعاهدة على اعتراف غرسية بسيادة ألفونسو السابع إمبراطورا، واتفقا على أن يُزوج ابنته بلانكا(Blancha)من سانشو ابن ألفونسو السابع، وأن تربى في البلاط القشتالي حتى تكبر، وبهذه الطريقة أنقذ غرسيه مملكته من السقوط في يد الملك القشتالي ألفونسو السابع[27].

وفي سنة 1150م، توفي غرسيه الرابع ملك نفار، بعد أن نجح في حماية مملكته من السقوط في يدي رامون بيرنجير الرابع أمير قطلونية، وألفونسو السابع ملك قشتالة وليون، فخلفه ابنه سانشو السادس (العالم)(1150-1194م)، فوجد رامون بيرنجير الرابع وألفونسو السابع في ذلك فرصة لدخولها، واقتسام أراضيها بينهما، وإعادتها إلى ما كانت عليه سابقا قبل تولي غرسيه حكمها. ومن أجل ذلك اجتمع المتحالفان في مدينة تطيلة(Tudela)، واتفقا على نفس شروط معاهدة كاريون، أما الجديد فيها هو: جعل المدن الإسلامية مناطق نفوذ بينهما، فقد خص رامون بيرنجير الرابع ببلنسية ومرسية ودانية، وتعهد باعترافه بكل ما يملكه سانشو وريث ألفونسو السابع ملك قشتالة، والاعتراف بشقيقه فرناندو ملكا في حالة وفاة سانشو ملك قشتالة وليون [28].

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

كان لتطور الأحداث السياسية والعسكرية داخل شبه الجزيرة الأيبيرية في تلك الفترة(النشاط الموحدي)، دور مهم في وقف الصراع بين الممالك المسيحية: أراغون، قشتالة، نفار، البرتغال، حيث تراجع ألفونسو السابع عن اتفاقه مع رامون بيرنجير الرابع فيما يخص الهجوم على مملكة نفار، ورأى ضرورة الحفاظ على السلام بين الممالك النصرانية، وتوطيد العلاقة بينهم، وتحويل صراعهم نحو مسلمي الأندلس. وحفاظا على قوة واستمرار المملكة، وحتى يجنب أولاده الدخول في حرب أهلية بعد وفاته، قام ألفونسو السابع بتقسيم المملكة بين ولديه، فخص ابنه الأكبر سانشو بقشتالة، وخص فرناندو بليون وأشتريس وجليقية. ومن أجل توثيق العلاقة مع جارته مملكة نفار، زوج ألفونسو السابع ابنه سانشو من بلانكا(Blanca)شقيقة سانشو السادس ملك نفار، وكان ذلك سنة 1151م. وفي سنة 1153م، تزوج ملك نفار سانشو السادس من سانشا(Sancha) ابنة ألفونسو السابع ملك قشتالة من زوجته برنجيلا[29]. وهكذا تم توثيق العلاقة بين الممالك النصرانية(قشتالة، نفار، أراغون..) عن طريق الزواج السياسي، وقد ساعدهم ذلك الاتحاد على مواجهة خطر الموحدين.

8. الزواج السياسي بين مملكة البرتغال ومملكة ليون ودوره في تقوية العلاقة بين المملكتين:

كانت منطقة البرتغال(Portugal) تسمى بلوزيتانيا(Lusitania)، وعندما استردها فرناندو ملك قشتالة وليون من المسلمين أعطاها اسم البرتغال – البرتقال في المصادر الاسلامية-. وهي كونتية تابعة لمملكة ليون، وقد منحها ألفونسو السادس(1065-1109م) الذي ورث والده في حكم قشتالة وليون لصهره هنري البرغوني (henry de Borgona)زوج ابنته تريزا(Treza)، نظير الجهود التي بذلها خلال صراع الملك القشتالي مع المرابطين، وبقي هنري وزوجته تريزا يحكمان كونتية البرتغال مع تبعيتهما لملك قشتالة. وفي سنة 1139م، أعلن ألفونسو هنريكز(1128-1185م)، الذي خلف والدته تريزا استقلال كونتية البرتغال عن مملكة قشتالة وليون، فكان ذلك ايذانا بقيام مملكة البرتغال، هذه المملكة التي بالرغم من حداثة ظهورها الا أنها ستلعب دور مفصلي في الصراع الاسلامي المسيحي في غرب شبه الجزيرة[30].

اشتهر ألفونسو هنريكز بدهائه السياسي وبحنكته العسكرية، وقد أثارت هجماته المتتالية وتوسعاته العسكرية خاصة بعد أن وصل الى قلعة سدوفيا(Cedofeita) خوف وقلق الملك الليوني فرناندو الثاني(1157-1188م) – البيوج في المصادر العربية-، وفي تلك الفترة كان هذا الأخير مشغولا بالحرب الأهلية التي اندلعت داخل مملكة قشتالة بعد وفاة ملكها سانشو(شقيقه)، لذلك لم يكن باستطاعته محاربة الملك البرتغالي، فجنح الى السلم، ومن أجل ذلك عرض على ملكها ألفونسو عقد معاهدة سلام، فوافق الملك البرتغالي على طلبه، والتقى الطرفان في أفريل 1165م، على ضفة أحد أنهار مدينة ليريز، وكان من أهم ما جاء في تلك المعاهدة: زواج الملك الليوني فرناندو الثاني من أوراكة ابنة الملك البرتغالي ألفونسو، وعن طريق ذلك الزواج تم توثيق العلاقة بين مملكة ليون ومملكة البرتغال، وتفرغ كل طرف لانشغالاته الداخلية والخارجية[31].

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ولما توفي فرناندو الثاني ملك ليون خلفه ابنه ألفونسو التاسع(1188–1230م)، وقد استغل ملكي قشتالة والبرتغال تلك الفرصة وكثفا من حملاتهما وتوسعاتهما على حساب الأراضي الليونية، وأمام اشتداد تلك الحملات، واشتداد الخطر الموحدي كذلك، لم يجد الملك الليوني ألفونسو التاسع من حل سوى مهادنة ملكا قشتالة والبرتغال ومصالحتهما، فعقد العديد من معاهدات السلام مع الملك القشتالي. أما مع الملك البرتغالي سانشو الأول(1109–1185م)، فقد رأى الملك الليوني أن أحسن سبيل للقضاء على خطره، وتسوية قضية الحدود معه يكمن في الزواج السياسي(المصاهرة)، ومن أجل ذلك تزوج سنة 1191م، من الأميرة تريزا ابنة الملك البرتغالي سانشو الأول، وكان الصداق الذي أهداه لها هو أراضي من مدينة خيما(Gema)، ومن كاستروراف (Castrotoraf)، وبالرغم من اعتراض البابوية على ذلك الزواج بسبب صلة القرابة التي كانت تجمع بين الزوجين، إلا أن الملك الليوني أصر على زواجه من تريزا، ولم ينفصل عنها إلا بعد أن رزق منها بثلاثة أولاد ، وكان ذلك سنة 1194م[32]. وبذلك استطاع الملك الليوني عن طريق الزواج السياسي أن ينقذ مملكته من السقوط في يد الملك البرتغالي، كما استطاع من خلال ذلك توثيق العلاقة بين المملكتين، والعمل سويا من أجل القضاء على الخطر الاسلامي(الموحدي).

9. الزواج السياسي بين مملكة قشتالة ومملكة ليون ودوره في عودة الاتحاد بين المملكتين:

رأينا فيما سبق كيف استطاع الملك الليوني ألفونسو التاسع أن ينقذ مملكته من خطر الملك البرتغالي، وذلك عن طريق الزواج السياسي، ونفس العمل قام به ألفونسو التاسع مع الملك القشتالي ألفونسو الثامن(1158–1214م)، فاتقاء لشره، ومن أجل أن يجنب مملكته خطره، قرر ألفونسو التاسع ملك ليون الزواج من برنجيلا ابنة ألفونسو الثامن ملك قشتالة، وكانت الأراضي والحصون التي اقتطعها من مملكة قشتالة مهرا لها، وأقيم حفل الزواج بمدينة بلد الوليد، وكان ذلك في اكتوبر 1197م[33].

ولم يمض الكثير حتى ساءت العلاقة بين الملك القشتالي والملك الليوني، وذلك بسبب تحالف ألفونسو التاسع في تلك الفترة مع الموحدين، كما قام بمساعدة فرسانهم في اجتياح الأراضي القشتالية. وكرد فعل على ذلك تحالف ألفونسو الثامن مع الملك الأراغوني ألفونسو الثاني(1162–1196م)، وقام المتحالفان بمهاجمة الأراضي النفارية والليونية وعاثا فيها.

وكان من نتائج الصراع الذي احتدم بين الممالك النصرانية في تلك الفترة، أن تدخل البابا انوسونت الثالث (Innocent) (1198–1216م)، وبعث برسله من أجل اعادة الوحدة بين تلك الممالك، وحثهم على العمل لمواجهة الخطر الأكبر وهو خطر الموحدين، كما أصدر البابا قرارا يلغي فيه زواج ألفونسو التاسع من برنجيلا ابنة الملك القشتالي ألفونسو الثامن، وقد أثار هذا القرار مشكلة كبيرة داخل ليون بين مؤيدٍ ومعارضٍ خاصة رجال الدين منهم، أما ألفونسو التاسع فقد تعنت كثيرا، وأمر بسجن كل من يؤيد قرار البابا، ولم يكن تعنته وغضبه نابع

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

من حبه وارتباطه بزوجته القشتالية، وإنما بسبب التفكير في مصير الأبناء الذين رزق بهم منها، بالإضافة الى تفكيره في مصير المملكة من بعده. ولما علم البابا انوسونت الثالث عواقب ذلك القرار، ونزولا عند رغبة بعض رجال الدين داخل المملكة، قام بتخفيفه، وسمح بإقامة بعض الشعائر الدينية والكنسية، كما أذن بتنصير فرناندو وهو أول مولود للملك الليوني ألفونسو التاسع من زوجته برنجيلا، وتم ذلك في كنيسة ليون سنة 1199م. وفي سنة 1204م، احتفل ألفونسو التاسع بابنه فرناندو باعتباره ولي عهده، ومن أجل الحفاظ على أمن المملكة واستقرارها رضيت برنجيلا بالطلاق، وعادت إلى قشتالة، وبعدها رفع البابا قرار الحرمان عنها، واعترف بشرعية أولادها[34].

ولما توفي الملك القشتالي ألفونسو الثامن، انتقل الحكم الى ابنه هنري الأول(انركي)، وبسبب صغر سنه حيث لم يكن يتجاوز الحادية عشر، تولت والدته إليانور الوصاية عليه، لكن لمدة قصيرة حيث توفيت الملكة بعد ذلك، فأسندت الوصاية الى أخته برنجيلا(زوجة ألفونسو التاسع ملك ليون)، لكن هذه الأخيرة لم تستقر لها الأوضاع، حيث عرفت المملكة العديد المشاكل والثورات الداخلية، وكان بطل تلك الأحداث، أسرة أل لارا النبيلة، فقد تطلع أفرادها الى سلطة، وسببوا للملكة الكثير من المتاعب، وهو ما أدخل الطرفين في حرب ضروس[35]. وفي تلك الظروف لم تجد الملكة برنجيلا من بد سوى الاستنجاد بزوجها السابق ألفونسو التاسع ملك ليون، فاستجاب هذا الأخير لندائها، وبعث من أجل فك الحصار الذي فرضه أل لارا عليها، ابنه فرناندو(وهو ابنها كذلك) مع بعض فرسانه، فنجح فرناندو في رفع الحصار عنها. وفي تلك الفترة توفي الملك الصبي(انركي)، وبسبب مستقبل المملكة تنازلت برنجيلا عن الحكم لصالح ابنها فرناندو، فأصبح ملكا لقشتالة وكان ذلك سنة 1217م[36].

وفي 24 سبتمبر 1230م، توفي ألفونسو التاسع ملك ليون، بعد أن حكم المملكة لأكثر من أربعين سنة حقق خلالها العديد من المكاسب سواء على حساب المسلمين أو المسيحيين، وقد انشغل ألفونسو التاسع قبل وفاته بمسألة من يخلفه من بعده. وتذكر الروايات المسيحية أن الفونسو التاسع أوصى بأن يتولى الحكم من بعده ابنتيه: سانشا ودولشا(Dulce)، لكن هاتين الأخيرتين تنازلتا عن الحكم لصالح شقيقهما فرناندو ملك قشتالة، وبسبب ذلك انقسمت ليون إلى قسمين: قسم يؤيد فرناندو وكان أكثر عناصره من رجال الدين. وقسم يؤيد الطفلتين سانشا ودولكا، وفي الأخير انتصر القسم الأول وعين فرناندو ملكا، وبعدها مباشرة انتقل هذا الـــأخير إلى ليون، وهناك أقسم بأن يحترم قوانين المملكة وأهلها، وفي كنيسة المدينة تلقى فرناندو يمين الولاء والتبعية من طرف رجال الدين والأشراف وممثلي الطبقات الأخرى[37].

وبذلك استطاع فرناندو(الثالث)(1230-1254م) عن طريق المصاهرة أن يحكم قشتالة وليون معا، ويعيد الوحدة التي كانت بين المملكتين قبل وفاة ألفونسو السابع، وقد ساعده ذلك الاتحاد على تحقيق انجازات وانتصارات قل نظيرها، حيث بلغت حركة الاسترداد في عهده أوجها، وذلك بعد استرداده لقرطبة أم المدن الأندلسية وحاضرة الأمويين بالإضافة الى اشبيلية وحصون أخرى مهمة.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1.10الزواج السياسي بين مملكة أراغون ومملكة قشتالة ودوره في توثيق العلاقة بين المملكتين:

انتشرت ظاهرة الزواج السياسي بشكل مثير للانتباه بين مملكة أراغون ومملكة قشتالة وليون، ويرجع السبب في ذلك الى قوة المملكتين في تلك الفترة وتزعمهما لحركة الاسترداد، واستردادهما لأشر المدن الأندلسية وأهمهما، وكان الزواج السياسي أهم وسيلة استخدمت لتسوية الخلاف، وتوثيق العلاقة بينهما.

ومن أشهر الزيجات التي تمت بين الطرفين نذكر: زواج ألفونسو الثاني ملك أراغون من سانشا[38] ابنة ألفونسو الثامن ملك قشتالة في 18 مارس 1174م، وقد أراد ملك قشتالة من هذا التحالف توثيق علاقته مع الملك الأراغوني وخدمة مصالحه، وذلك بسبب الظروف التي كانت تمر بها مملكة قشتالة في تلك الفترة، حيث عمل فرناندو الثاني ملك ليون وعم ألفونسو الثامن على إذكاء الحرب داخل برغش عاصمة قشتالة، بالإضافة إلى الصراع الدائر داخل المملكة بين أسرتين نبيلتين هما أل لارا، وأل كاسترو(Castro)، زيادة على غزوات ملك نفار اتجاه الأراضي القشتالية، والخطر الأكبر الذي كان يهدد ملك قشتالة في تلك الفترة: الدور العسكري الكبير الذي أصبح الموحدون يقومون به في شبه الجزيرة الأيبيرية كل تلك الظروف جعلت ملك قشتالة يتقرب أكثر من ملك أراغون ويطلب محالفته[39].

وتزوج خايمي الأول(Jaime) (1212–1276م)-حاقمة في المصادر العربية- ملك أراغون من أليانور ابنة ألفونسو الثامن ملك قشتالة، وقد أوصى المجلس الذي تولى الوصاية على الملك الأراغوني بذلك الزواج حتى يضمن وريثا شرعيا للملكة، ويوطد العلاقة بين المملكتين. وفي 6 فيفري 1221م، أقيم حفل الزواج في كنيسة فيرجين دي لابينا (Vergin De LaPena) في الحدود القشتالية الأراغونية، حضره من جانب مملكة أراغون سانشو أسقف سرقسطة، وغرسيه أسقف وشقة، ومقدم فرسان المعبد ويليام دو ألاكو(William de Allaco)، ومن حاشية الملك خينيمو كورنيل، وبدرو أهونيز(Pedro Ahones)، والعديد من النبلاء. أما من قشتالة فقد حضرت أليانور زوجة خايمي الأول يرافقها والدها ملك قشتالة ووالدتها، والعديد من أشراف المملكة [40].

وفي 26 مارس 1244م، عقد الملك الأراغوني خايمي الأول معاهدة أليثرا(نسبة الى مدينة أليثرا القريبة من بلنسية)، مع فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون من أجل وضع حد للصراع بينهما، وذلك بتحديد مناطق توسعهما بدقة، فقد تخلى ملك قشتالة عن شاطبة لصالح ملك أراغون، وعن قرى صغيرة تقع بين نهر الشيقر وشقورة، ومنع على ملك أراغون التوسع جنوبا، وهو ما أغلق عليه باب التوسع في شبه الجزيرة الأيبيرية، وفي المقابل اعترف ملك أراغون أن مرسيه وما يليها من حق ملك قشتالة. وتوثيقا للعلاقة بينهما عرض خايمي الأول على ملك قشتالة زواج ابنته فيولانت(Violant) بألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة وليون[41]. ونفس العمل قام به خايمي الثاني (1291–1327م) ملك أراغون مع سانشو الرابع (1284–1295م) ملك قشتالة، فمن أجل القضاء على الخلاف الذي كان بينه وبين ملك قشتالة في تلك الفترة بسبب سياستهما التوسعية، قرر

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

خايمي الثاني وضع حد لذلك الخلاف، وضرورة التصالح مع الملك القشتالي سانشو الرابع. ومن أجل ذلك عقد الملكان في سنة 1291م، معاهدة مونتياجودو(Monteagudo)في صوريا (Soria)، لإعادة السلام بينهما، وأهم ما جاء في تلك المعاهدة: زواج خايمي الثاني من إزابيل (Isabel)ابنة سانشو الرابع، وتقسيم بلاد المغرب الإسلامي إلى مناطق نفوذ بينهما، فكانت الأراضي الواقعة شرق نهر وادي ملوية بما فيها الأراضي الزيانية والحفصية من نصيب ملك أراغون، أما الأراضي الواقعة غرب وادي ملوية فهي من نصيب ملك قشتالة[42].

وفي الفترة التي تولى فيها كل من بدرو الرابع(1336-1386م) حكم أراغون، وبدرو(القاسي)(1350-1368م) حكم قشتالة، عرفت العلاقة بين الطرفين توترا، وتطورت تلك الأحداث الى أن دخل الطرفان في حرب عنيفة اعتبرت أطول حرب في تاريخ العلاقة بين المملكتين، وكان سبب تلك الحرب مطالبة الملك القشتالي بتعويضات من الملك الأراغوني بسبب الأضرار التي ألحقها الأسطول القطلوني(الأراغوني) بالسفن القشتالية التي كانت في طريقها إلى مدينة قادش(Cadis)، وأمام رفض بدرو الرابع لطلب الملك القشتالي، أعلن هذا الأخير الحرب ضد الملك الأراغوني، وتأزمت الأوضاع أكثر عندما استنجد كل طرف بقوى من خارج شبه جزيرة، فقد استنجد بدرو القشتالي بإدوارد الثالث(Edward)(1327-1377م)ملك انجلترا، أما بدروا لأراغوني فقد استند بالمرتزقة الفرنسيين، و لم يقف المتحاربان عند هذا الحد، بل عملا على اثارة الفتن الداخلية، وتحالفا مع المعارضين، حيث تحالف بدرو القشتالي مع فرناندو وخوان الشقيقين الغير شرعيين للملك الأراغوني بدرو الرابع، وفي المقابل تحالف هذا الأخير مع الطامحين الى العرش القشتالي كهنري(انريكي) دي تراستمار(Enrique de Trastamara)الشقيق الغير شرعي لبدرو القشتالي. وبالرغم من مرور تلك الحرب بفترات من الهدنة والصلح إلا انها لم تتوقف، وخربت بسببها الجسور والمطاحن وقطعت الأشجار، وأسر ومات فيها الكثير من الجنود، حتى أن الملك القشتالي بدرو نفسه لقي حتفه فيها، وذلك في معركة مونتيل(Monteal) سنة 1369م[43].

وأمام استمرار الحرب دون منهزم أو منتصر تدخلت الكثير من الشخصيات أهمها البابا غريغوري الحادي عشر(Gregory) (1370-1378م)، الذي دعا الى وقف القتال وعودة الوفاق بين المملكتين، وذلك من أجل مواصلة الحرب ضد المسلمين وتحقيق الهدف المنشود(القضاء على الوجود الاسلامي). وفي 12 أفريل 1375م، تمت تسوية الصراع بين التاجين وذلك بمقتضى معاهدة المازان(Almazan)، ومن خلالها تنازل الملك الأراغوني بدرو الرابع على مجموعة من المدن والحصون بما فيها مرسية(Murcia) مقابل 180 فلورين، كما تم الاتفاق من خلال تلك المعاهدة على زواج أليانور الأراغونية مع خوان وريث هنري تراستمارا ملك قشتالة، ومن خلال ذلك الزواج عاد الوفاق بين المملكتين، وهو الوفاق الذي سيكون له دور كبير في الفترة اللاحقة، وذلك عندما يضع ملوك قشتالة وأراغون مملكة غرناطة نصب عينهما، ويعملا بكل ما أوتيا من قوة من أجل القضاء عليها[44].

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

2.10 زواج فرديناند ملك أراغون وايزابيل ملكة قشتالة ونهاية الوجود الاسلامي بالأندلس:

أثمر الزواج السياسي بين أليانور الأراغونية، وخوان القشتالي في ميلاد طفل كان له دور كبير في حماية مملكة أراغون من الانقسام والزوال. فكيف كان ذلك؟. في سنة 1410م، توفي الملك الأراغوني مارتين الأول(1396-1410م) دون وريث، فأصبحت المملكة محل نزاع بين الطامعين والمتسلقين، ولأول مرة تطرح مشكلة شغور العرش في تاريخ أراغون، وبعد اجتماع النبلاء في أراغون وقطلونية، وبضغط من البابا بندكت الثالث عشر(1394-1422م)، انتخب فرناندو(1410-1414م) ابن أليانور الأراغونية والوصي على الملك القشتالي خوان الثاني(1405-1454م) ملكا لأراغون، وكان ذلك في 28 جوان 1412م. وفي كنيسة سانتا ماريا، أدى فرناندو اليمين، وجلس الجميع على ركبتيه كدليل على خضوعهم، ومنذ تلك اللحظة بدأ عهد جديد في تاريخ مملكة أراغون[45].

لم يستمر فرناندو في الحكم سوى أربع سنوات كانت مليئة بالاضطرابات والثورات الداخلية التي قادها المعارضون في قطلونية، ولما توفي سنة 1416م، انتقل الحكم إلى ابنه ألفونسو الخامس(1416-1458م)(الشهم) الذي انشغل كثيرا بتوسيع نفوذ مملكة أراغون في الحوض الغربي للمتوسط، وتحقيق العديد من المكاسب كضمه لمدينة نابولي سنة 1414م، وبسبب تلك الانشغالات المتوسطية، تنازل لشقيقه خوان عن أراغون. وفي سنة 1458م، توفي ألفونسو الخامس دون وريث، فانتقل الحكم مباشرة الى شقيقه خوان(الثاني)(1458-1479م)، الذي كان يبلغ من العمر في تلك الفترة ستين عاما، و لم يسبق أن تولى شخص الحكم في ذلك العمر، وقد عرفت المملكة فترة حكمه العديد من الأحداث الداخلية والخارجية كحربه مع النفاريين وحربه مع فرنسا[46] بسبب كونتية روسيون. أما داخليا، فقد احتدم الصراع بينه وبين النبلاء القطلونيين، وفي تلك الظروف لم يجد الملك الأراغوني بدا سوى التحالف مع الملك القشتالي، ومن أجل ذلك وحتى يضمن استمرار حكم أسرة تراستمارا في كلا المملكتين، خطب خوان الثاني ايزابيل شقيقة الملك القشتالي هنري الرابع(14-1474م) لابنه فرناندو، وفي مارس 1469م، تم التوقيع على جميع الشروط المتفق عليها، حيث استجاب فرناندو لجميع طلبات ايزابيل، واعترف بها كصاحبة السيادة في قشتالة، وتعهد بالإقامة بها، والتوقيع المشترك على الوثائق الرسمية، وتكفلت محكمة أراغون بتموين الخطبة من خلال تبرعات كبيرة يجب دفعها بعد أربعة اشهر من اتمام الزواج. وبعد الاتفاق على كل الشروط، وفي يوم الخميس 19 أكتوبر 1469م، أقيم حفل الزواج بكنيسة سانتا ماريا ببلد الوليد[47].

وبعد مرور خمس سنوات على حفل الزواج، توفي هنري الرابع فجأة وكان ذلك في 14 ديسمبر 1474م، وبسبب معارضة النبلاء في قشتالة لتولي ابنته الوحيدة خوانا الحكم، تقدمت شقيقته ايزابيل التي كانت تحظى بحب الشعب القشتالي، ويناصرها عدد كبير من الأشراف، ودون تأخير أعلنت ايزابيل نفسها ملكة، وبعد مناقشات

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

مطولة مع نبلاء قشتالة تم التوقيع على اتفاقية تنص على أن تحكم ايزابيل رفقة زوجها فرناندو، واتفقا على أن يظهر اسم الملك أولا في جميع الوثائق يليه اسم الملكة، وتعهد فرناندو على احترام عادات وأعراف القشتاليين، وأن يواصل الحرب ضد المسلمين[48]. وفي 19 جانفي 1479م، توفي الملك الأراغوني خوان الثاني، فانتقل الحكم مباشرة لابنه البكر فرناندو ولقب بالخامس، وبذلك استطاع هذا الأخير عن طريق الزواج السياسي جمع التاجين(قشتالة وأراغون) في تاج واحد، ولقب الملكين بالكاثوليكيين، وذلك نظير الخدمات الجليلة التي قدماها للكنيسة الكاثوليكية، كمنع أي عبادة لا تتفق مع المسيحية الكاثوليكية، واضطهادهما للهراطقة بقوة النار والحديد، واتخاذهما للصليب علما لهما. وباتحاد قشتالة وأراغون في مملكة واحدة تبدأ صفحة جديدة في تاريخ اسبانيا النصرانية، وكان أهم ما ميز تلك الصفحة نجاح الملكين الكاثوليكيين في الاستيلاء على غرناطة سنة 897ه /1492م، والقضاء على الوجود الاسلامي بشبه الجزيرة الأيبيرية[49].

11.الخاتمة:

مما سبق ذكره يمكن القول أن الزواج السياسي لعب دورا كبيرا في تاريخ الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، فميلاد أول مملكة مسيحية(جليقية) وممالك أخرى تبعتها كان بفضله. كما كان لذلك الزواج دور كبير في إعادة الوحدة والتوافق بين تلك الممالك فترة اختلافها وتصارعها، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته البابوية في ذلك، والدعم المادي والمعنوي الذي قدمته لتلك الممالك من أجل تحقيق هدفها المنشود. أما بالنسبة للمسلمين، فقد كان لذلك الزواج أثر كبير على وجودهم، حيث قويت حركة الاسترداد خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية وانقسام الأندلس الى دويلات متطاحنة فيما بينها، فأخذت مدنهم تسقط الواحدة تلو الأخرى بداية بطليطلة التي سقطت في يد الملك القشتالي ألفونسو السادس، ختاما بغرناطة التي سقطت في يد الملكين الكاثوليكيين فرديناند وازابيل سنة 897ه/1492م، وبسقوط هذه الأخيرة ينتهي الوجود الاسلامي بشبه الجزيرة الأيبيرية الذي دام أكثر من ثمانية قرون.

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

12. الهوامش:

1- اختلفت المصادر حول أصله، ولا يعرف على وجه التحديد، إن كان قوطيا أو من سلالة الأيبريين الرومان الذين حكمهم القوط حتى الفتح الإسلامي. ترجح بعض الروايات أنه كان ابنا لفافيلا(Favilla) دوق كنتبرية؛ في حين ذهب فريق أخر إلى أن بلاي كان حاملا لسيف لذريق، وأنه هرب إلى أشتريس حينما غزا المسلمون البلاد، ونصب نفسه أميرا عليها. (انظر: المقري (أحمد بن محمد): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، حققه إحسان عباس، 1988م، بيروت، دار صادر، ج4، ص 350؛ مؤنس حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، د.س.ط، القاهرة، دار الرشاد، ص 318).

2- سميت باسم كوفا دونغا نسبة إلى الكهف الذي دارت المعركة بالقرب منه، والذي كان بلاي وأتباعه يختبئون فيه ، وقد تمكن بلاي من هزيمة المسلمين فيها وقتل قائدهم علقمة. تعتبر المدونات الإسبانية أن النصر الذي حققه بلاي في هذه المعركة يعتبر البداية الحقيقية لحركة الاسترداد. (انظر: مؤنس حسين، المرجع السابق، ص321 وما بعدها من الصفحات).

3 – تقع جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية تشرف على المحيط الأطلسي، ويسمى أهلها بالجلالقة، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها. (انظر: الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبد الله): **معجم البلدان**، 1977م، بيروت، دار صادر، ج2، ص 175؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه إحسان عباس، 1984م، ط2، لبنان، مكتبة لبنان، ص 169).

4- Alfonso El Sabio, Primera Cronica **Général Estoria de España**, Publico Por Ramon Menèndez Bidal , 1906, Madrid, T.2, p.322sqq ;

عنان عبد الله، **الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر**، 1997م، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 212–213؛ مؤنس حسين، المرجع السابق، ص321.

5 - عنان عبدالله، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، 1997م، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 318.

6 – ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، 1983م، ط3، لبنان، دار الثقافة، ج2، ص 102؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 351.

7- رجب عبد الحليم، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، د.س.ط، القاهرة، ص 153.

8 – تذكر بعض الروايات أن سانشو غرسية لم يكن ابن فرتون ولا من سلالة غرسية، وانما من أسرة أخرى استطاع الوصول الى الحكم بفضل شجاعته وخبرته.(انظر: عنان عبد الله، الأندلس من الفتح، ص 362).

9 – لمزيد من المعلومات حول تلك المعركة الحاسمة في تاريخ العلاقات بين المسلمين والممالك النصرانية.(انظر: عنان عبد الله ، الأندلس من الفتح ، ص 414–420).

10 – رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 201.

11- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، 2000م، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ج4، ص183؛ عنان عبد الله، الأندلس من الفتح، ص423.

12 – عنان عبد الله ، الأندلس من الفتح، ص 590.

المجلد: (17)	العدد:(02)	السنة: 2025	صفحات المقال: 844 - 863	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

13 – من أقدم المدن الرومانية، وهي مدينة بالجنوب الفرنسي يحدها المحيط الأطلسي غربا، وجبال البرانس جنوبا، وإقليم سبتمانيا شرقا، ونهر الجارون شمالا. أما عن أصل سكانها فهم من الباسك. انظر:

La Grande Encyclopédie, 1890, Paris, T.18, p. 571.

14 - Alfonso El Sabio, op.cit., p.408 sqq ;

عنان عبد الله ، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، 1997م، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 377.

15- Cronica De San juan De La pena, Antonio Ubieto Arteta,1961, Valencia, p.28; Alfonso El Sabio, op.cit., p.472sqq ;

أشباخ يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، 1940م، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ج1،ص 11؛ عنان عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 376 .

16 – Alfonso El Sabio , op.cit ,p.481;378 عنان عبد الله ، دول الطوائف، ص

17- Alfonso El Sabio , op.cit ,p.493;

أشباخ يوسف، المرجع السابق ، ج1، ص 12 ؛ عنان عبدالله، دول الطوائف، ص 378.

18- **Chronicle Of The Cid from Spanish**, Introduction by Robert Southey, 1883, London, p.188.

19 – أشباخ يوسف، المرجع السابق، ص 20–21.

20 - Cronica De San juan De La pena,p.454sqq; Balaguer Victor, **Historia De Cataluna Y De La Corona De Aragon**, 1860, Barcelona, Libroria De Salvador, T.1 , p.385 sqq .

21 -Cronica De San juan De La pena,p.490; Payne Stanley, **A History Of Spain And Portugal**,1973, Wisconsin Press.

22- Jeronimo Zurita, **Anales De La Corona De Aragon**, Zaragoza**,** Inctitucion Fernando El Catolico، p.59 ; Cronica De San juan De La pena,p.490

23 - Cronica De San juan De La pena, p.490.

24 – في سنة 1079م، استطاع الملك الأراغوني سانشو راميرز ضم الجهة الشرقية لمملكة نفار، أما حليفه ألفونسو السادس ملك قشتالة فقد ضم جهتها الغربية، وقد بقيت تابعة لمملكة أراغون الى غاية سنة 1134م، عندما رفض النفاريون تولي بدرو الراهب الحكم، واستدعوا الفارس النبيل غرسيه ابن شقيق الملك السابق سانشو، وبذلك انفصلت مملكة نفار عن أراغون، واستأنفت تاريخها من جديد. لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: Zurita, op.cit., p.86).

25 – في سنة 1128م، زوج رامون بيرنجير الثالث أمير قطلونية ابنته برنجيلا(Peringela) بألفونسو السابع(ريموندس)، وذلك من أجل إعادة بعث العلاقة بينهما، وحتى يتفرغ لتوسعاته البرية والبحرية(انظر: Balaguer Victor, op.cit. ,T.1 ,p. 658-660).

26– Zurita , op.cit. , p.98-99; Balaguer Victor , op.cit. ,T.1,p. 701.

27 - Zurita, op.cit., p.98-99 ; Balaguer Victor, op.cit., T.1 ,p. 704;

أشباخ يوسف، المرجع السابق، ج1، ص 191.

28 – Alfonso El Sabio , op.cit ,p.663; Zurita , op.cit. , p. 107-108.

29 – Zurita, op.cit., T.1 ; p. 108.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

30 – لمزيد من المعلومات حول قيام مملكة البرتغال وتطورها.(انظر: النشار محمود، **تأسيس مملكة البرتغال**، 1995م، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 33 وما بعدها من عدد الصفحات).

31 – النشار محمود، المرجع السابق، ص 104.

32- Alfonso El Sabio, op.cit, p.676sqq;

عنان عبد الله، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، 1990م، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ق2، ص594؛ أشباخ يوسف، المرجع السابق، ج2، ص 43.

33 - Alfonso El Sabio, op.cit, p.677.

34- Ibid, p.682; يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 103؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين، ق2، ص 589.

35 – لمزيد من المعلومات حول تلك الأحداث.(انظر: يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 139 وما بعدها من الصفحات).

36- Alfonso El Sabio, op.cit, p.708- 713;

أشباخ يوسف، المرجع السابق، ج2، ص 139؛ عنان عبد الله، عصر المرابطين، ق2، ص 593.

37- Alfonso El Sabio, op.cit, p.723 ;

أشباخ يوسف، المرجع السابق، ج2، ص 147؛ عنان عبد الله، عصر المرابطين، ق2، ص 597.

38 – في الوقت الذي تزوج فيه ألفونسو الثاني من الأميرة القشتالية سانشا، كانت زوجته الأولى يوديشيا ابنة الامبراطور البيزنطي في طريقها إلى اسبانيا، وهذا ما أثار حالة من الاستنكار لدى رجال المملكة. (انظر: Zurita, op.cit., p.132.).

39- Zurita, op.cit., p.132; Cronica De San juan De La pena, p.493.

40- **The Chronicle Of James 1 King Of Aragon**, Translated From the Catalan By The Late John Forster Esq, 1883, London,Vol.1, p.31-37 ; Zurita, op.cit., p .188.

41- **The Book Of Deed Of James 1 Of Aragon**, A Translation OF Medieval Catalan Damin j Smith And Helena Buffery, 2010, British Library, England, p.262, 265.

42-Muntaner Ramon, **Chronicle**, Translate By Lady Goodenough, 2000, Cambridge p. 356; Cronica De Suan Juan De La Pena ,p.536.

43 - لمزيد من المعلومات حول تلك الحرب وأحداثها.(انظر: **Cronica Del Rey D'aragon En Père iv Lo Ceremonis**, 1885, Barcelonana, p.279sqq ; Bisson Thomas, **The Medieval Crown of Aragon** , 2000, Oxford, Clarendon Press, p.114;

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، 1973م، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج2، ص 43.

44- Cronica Del Rey D'arago En Père iv, p. 283; Thomas Bisson, op.cit, p. 116.

45 - Victor Balaguer, op.cit., T.3, p .429 ; Bisson Thomas,op.cit ,p.133.

46 - لمزيد من المعلومات حول تلك الاحداث.(انظر: Zurita, op.cit., ; Bisson Thomas ,op.cit ,p.147qq. T .8 ,p.132.

47 - Zurita, op.cit., T .7 ,p.312 sqq ; Victor Balaguer, op.cit., T .7 ,p.559 sqq ; Bisson Thomas, op.cit ,p.140.

48 - Zurita, op.cit., T .8 ,p.30 sqq

49 - Zurita, op.cit., T .8 ,p.184 sqq ; Balaguer Victor, op.cit., T .7 ,p.648 sqq ;

عنان عبد الله، نهاية الأندلس، ص180.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

13.قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية:

1– ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)(2000) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر.

2– الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبد الله)(1977) : معجم البلدان، بيروت، دار صادر.

3– الحميري (محمد بن عبد المنعم)(1984): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، ط2، لبنان، مكتبة لبنان.

4– ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد)(1973): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي.

5– ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي)(1983) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، ط3، لبنان، دار الثقافة.

6– المقري (أحمد بن محمد)(1988): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

ثانيا: الأجنبية:

1- Alfonso El Sabio, Primera Cronica Général Estoria de España, Publico Por Ramon Menèndez Bidal , 1906, Madrid.

2- Cronica De San juan De La pena, Antonio Ubieto Arteta,1961, Valencia.

3- Chronicle Of The Cid from Spanish, Introduction by Robert Southey, 1883, London.

4- Cronica Del Rey D'aragon En Père iv Lo Ceremonis, 1885, Barcelonana.

5- Jeronimo Zurita, Anales De La Corona De Aragon, Zaragoza, Inctitucion Fernando El Catolico.

6- The Chronicle Of James 1 King Of Aragon, Translated From the Catalan By The Late John Forster Esq, 1883, London.

7- The Book Of Deed Of James 1 Of Aragon, A Translation OF Medieval Catalan Damin j Smith And Helena Buffery, 2010, British Library, England.

8-Muntaner Ramon, Chronicle, Translate By Lady Goodenough, 2000, Cambridge.

المجلد: (17) | العدد:(02) | السنة: 2025 | صفحات المقال: 844 - 863 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ثالثا: المراجع العربية والمعربة:

1– أشباخ (يوسف) (1940)، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي.

2– رجب(عبد الحليم)(د.س.ط) ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، القاهرة.

3– عنان(عبد الله)(1997) الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي.

– الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، 1997م، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي.

– دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، 1997م، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي.

– عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، 1990م، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي.

4– مؤنس(حسين)(د.س.ط) ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، د.س.ط، القاهرة، دار الرشاد.

5– النشار(محمود)،(1995) ، تأسيس مملكة البرتغال، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

رابعا: المراجع الأجنبية:

1- Balaguer (Victor), Historia De Cataluna Y De La Corona De Aragon, 1860, Barcelona, Libroria De Salvador .

2- Bisson (Thomas), The Medieval Crown of Aragon , 2000, Oxford, Clarendon Press.

3- La Grande Encyclopédie, 1890, Paris.

12- Payne Stanley, A History Of Spain And Portugal,1973, Wisconsin Press.